سينما

عودة سينمائية لصوفيا لورين

سيّدة الشاشة في رسالة تسامح

تعود صوفيا لورين إلى الشاشة الكبيرة، بفيلم أخرجه ابنها إدواردو بونتي، يروي يوميات أفرادٍ يعيشون لحظات تحوّل ونضج وانكسارات وخيبات

نديم جرجوره

عودة صوفيا لورين (1934) إلى الشاشة الكبيرة دعوة إلى مُشاهدة جديدٍ لها، ينتظره كثيرون. شيخوختها غير مانعةٍ عنها ظهوراً، يراه البعض مُحبَّباً، ويريده بعضٌ آخر بشغف. تمثيلها عاديّ، لكنّ هناك من يعتبره الأفضل، فالذاكرة فاعلة في راهن يومي، وتاريخ المرأة الممثلة النجمة الرائعةً حافلٌ بلحظات غير منسية البتّة، والآنيّ يتألّق بها عند مثوله أمامها، أو عند تجسيدها إياه.

يحمل جديدها السينمائي عنواناً مُثيراً لتأمّلات، تُسعفها متابعة مسار النصّ وحكاياته بكثيرٍ من الألفة والانفعال والمتعة (رغم أنّ معظم هذا يخرج على السينما ويصبّ في نجومية ممثلة وحضورها). العنوان نفسه «حمّال أوجهٍ»، فترجمته إلى لغات عدّة تمنح المهتمّ معاني عدّة، يبقى الأصل (العنوان الإيطالي) أساسيّ بينها، وإنْ يُقْتَبس الفيلم من رواية فرنسية. العنوان يقول بأنّ «الحياة أمامه»، مع أنّه يُتيح تفسيراتٍ عدّة، تؤدّي كلّها إلى معنى أساسيّ، ينتبه إليه مُشاهدٌ يفصل بين نجومية صوفيا لورين، وأفكار روايةٍ مقتبسة إلى السينما، لمرة أولى، قبل أعوامٍ.

La vita davanti a sé يعني، ببساطة، أنّ «الحياة أمامه». الرواية فرنسيةٌ بعنوان مشابه للإيطالية، لكاتب يُدعى رومان غاري (1914 . 1980)، يُصدرها باسمٍ مستعار: إميل أجار. الإسرائيلي موشي مزراحي يقتبسها أولاً للسينما، عام 1977، بعنوان «مدام روزا»، مع سيمون سينيوري، مؤدّية دور مدام روزا، الذي تؤدّيه صوفيا لورين بعد 43 عاماً. للرواية عنوان إنكليزي: «مومو» (1978)، إحدى الشخصيات الأساسية، التي تختصر اسم محمد، الصبيّ السنغاليّ الواصل إلى إيطاليا عند بلوغه 3 أعوامٍ، والذي . في الاقتباس السينمائيّ الجديد (2020) للرواية، بتوقيع المخرج الإيطالي إدواردو بونتي (1973)، ابن صوفيا لورين من زوجها المنتج كارلو بونتي (1912 . 2007). يُشكّل محوراً أساسياً في الحبكة والتمثيل والفضاء الدرامي والمتتاليات الجمالية، المشغولة كلّها بحِرفية سينمائية لن تُبهر كثيراً، ولن تُثير ملالاً، في آنٍ واحد.

تتداخل حكايتا روزا ومومو، إحداهما بالأخرى. بل إنّ حكاية روزا تُروى من خلال حكاية مومو. التمرّد والتشرّد في شوارع «باري» الإيطالية يدفعان مومو (إبراهيم غِيي) إلى أعمالٍ غير شرعية، كبيع المخدرات. الطبيب كوين (ريناتو كاربنتياري) مسؤول عنه، لكنّ ثقل السنين عليه تجعله «يترجّى» السيدة روزا لاستقباله في منزلها، ورعايته والاهتمام به، فهو محتاج إلى لمسة أنثوية في حياته. روزا مومس سابقة، وناجية من المحرقة النازية، تُصاب أحياناً بشرودٍ يُبعدها عن الواقع دقائق متتالية، تنظر خلالها إلى غير المرئيّ، وتُصاب حينها بلوثة الغياب المؤقّت، كأنّها تتمرّن على الغياب الأخير. الصدام سمة اللقاء بين روزا ومومو، فالأخير يسرق منها شمعدانَين، قبل أنْ يُعيدهما إليها رفقة كوين. لاحقاً، تتحسّن الأحوال بينهما، إذْ يبدو أنّ كل واحد منهما يرى في الآخر امتداداً له، أو سنداً أو عزاءً أو كسراً لوحدةٍ قاتلة، مع أنّ روزا ترعى صبيين اثنين آخرين أيضاً، أحدهما يهوديّ تتخلّى والدته عنه زمناً قبل استعادته، بينما والدة الثاني، المتحوّلة جنسياً (أبريل زامورا)، تزور ابنها دائماً، وعلاقتها وطيدة بروزا. شخصيات أخرى تظهر في حياة مومو، خصوصاً السيد هاميل (باباك كاريمي)، بائع السجّاد وعاشق الكتب، الذي يُحرِّض مومو، بهدوء ورويّة، على التطلّع إلى الحياة والناس والعلاقات بنظرة مختلفة تماماً عن تلك التي يعتمدها في يومياته.

> أفكار عدّة عن التسامح والتواصل في زمن التشدّد والعزلة

يمتلئ «الحياة أمامه» (تعرضه «نتفليكس» بدءاً من 13 نوفمبر/ تشرين الثاني 2020) بأفكار خاصّة بتقبّل الآخر والتسامح والتواصل. الشخصيات الأساسية موزّعة على الديانات السماوية الثلاث، وألم المحرقة يطغى على غيره. بائع السجّاد، غير المتمكّن من الزواج بروزا لأنّها يهودية، يقتبس من القرآن كلاماً عن الحبّ والإيمان والمغفرة. يوميات هؤلاء جميعاً تتشابه، لكنّ التغيّر حاصلٌ في ذات مومو وروحه، إلى درجة التعلّق الكبير بروزا، فيُرافقها في رحلتها إلى الموت، ويُحقّق أمنيتها بعدم البقاء في المشفى، تحت رحمة أطباء ترفضهم.

فيلمٌ سلس وبسيط وعاديّ، يجنح إلى أفكار التسامح في زمن التشدّد والعزلات، ويُقدِّم دوراً لصوفيا لورين في شيخوختها، العاجزة عن الحوْول دون متعة مُشاهدتها، سيّدةً على شاشةٍ تعكس بعض أحوال الدنيا وانقلاباتها.

صوفيا لورين في ميلانو 2019: الحياة لا تزال أمامها (دانيالي فنتوريلّي/Getty)

«ليل» جيانفرانكو روسي

بورتريهات أشخاص عاديين في الشرق الأوسط

محمد جابر

يُعتَبر المخرج الإيطالي جيانفرانكو روسي (1964)، أحد أهمّ صنّاع السينما في العالم في العقدين الأخيرين، رغم أنّه لم ينَل الشهرة الجماهيرية المناسبة لقيمة أفلامه، غالباً بسبب طبيعتها. فالسينما الوثائقية تراقب البَشر أعواماً، ولا تتابع قصّة محدّدة، ولا تنشغل بمواضيع رنّانة، مهما تكن قريبة، بل تخلق سرديّتها من يوميات الناس، وتمتلك شاعرية سينمائية لافتة للانتباه، تنبثق من أفعالٍ عادية للغاية. فَعَل روسي هذا في Sacro Gra عام 2013، بتصويره حياة أناسٍ يعيشون على الطريق الدائرية في روما، في عامين كاملين، قبل إخراجه فيلماً بديعاً، فاز بـ«الأسد الذهبي» في الدورة الـ70 (28 أغسطس/ آب . 7 سبتمبر/ أيلول 2013) لـ«مهرجان «فينيسيا السينمائي»، كأول فيلم وثائقي يفوز بجائزة كهذه، والوحيد لغاية الآن. كرّر هذا، بعد 3 أعوام، في Fuocoammare، بتناوله سيرة لاجئين في الجزيرة الإيطالية «لامبيدوزا»، عاش معهم نحو 3 أعوام. فاز الفيلم بـ«الدبّ الذهبي» في الدورة الـ66 (11 . 21 فبراير/ شباط 2016) لـ«مهرجان برلين السينمائي».

حينها، نُشرت أخبار تفيد بأنّ «العيش» التالي لروسي سيكون في الشرق الأوسط، وهذا فعله في جديده Notturno، أو «ليل» (2020)، المعروض في الدورة الـ4 (23 . 31 أكتوبر/ تشرين الأول 2020) لـ«مهرجان الجونة السينمائي» (مسابقة الأفلام الوثائقية)، بعد عرضه في الدورة الـ77 (2 . 12 سبتمبر/ أيلول 2020) لـ«مهرجان فينيسيا السينمائي» (المسابقة الرسمية).

في جديده، يتّسع جيانفرانكو روسي جغرافياً بشكلٍ أكبر. فالتصوير حصل في 4 بلدان تعاني من الحرب وآثارها: لبنان وسورية والعراق وكردستان. في 3 أعوام، تابع حياة الناس في مناطق مختلفة، مقترباً من حياتهم اليومية، ومتسائلاً: كيف يعيشون وسط هذا كلّه؟ وكيف يحاولون النجاة وسط الموت والذكريات الدامية؟

شيئان ركّز عليهما روسي:

أولاً، قراره بإزالة الحدود، ولو لـ100 دقيقة (مدّة الفيلم)، فهو غير مهتمّ بتحديد «أين نحن؟» في البلدان الـ4، أو بتوضيح سياق سياسي لما يُعرض على الشاشة، التي تكشف، أحياناً، لحظات مَبتورة وغير مُكتملة بشكل مُربك. فالفيلم مَعنيّ بتوريط مُشاهديه مع بَشرٍ لا مع سياسة، ومَعنيّ بفتح الخيال على: «كيف يعيش هؤلاء البشر حياتهم؟»، لا على: «السبب السياسي/ الحربي وراء ذلك». إنّه ناجحٌ في هذا تماماً، فبعد دقائق، لا يُلاحق المتفرّجُ الظرفَ، بقدر ما يملك من تساؤلات ومشاعر حول الناس.

ثانياً: الابتعاد، بشكل متعمَّد، عن مناطق الحرب والاقتتال، فهذا لا يهمّه في «ليل». لعلّ أفلاماً أخرى ركّزت عليه، وتحديداً تلك المُنجزة في المنطقة العربية، في الأعوام الأخيرة.

وبالاتّساق مع مشروعه السينمائي، ينشغل روسي أكثر بالعادي في حياة الناس، والعادي المقصود ليس الرصاص والموت واللحظات الكبرى المؤثّرة، بل التكيّف معهم ومع الأوقات التي تلي تجارب مؤسفة: الاستيقاظ صباحاً، والعمل والعيش، بينما الموتُ قريب منهم، أو خَطفَ أحبّاء لهم.

> سينما وثائقية تراقب البَشر ولا تتابع قصّة محدّدة

جيانفرانكو روسي في «برلیناله 2016»: سينما الأفراد (أندرياس رنتز/ كوربيس/ Getty)

أفلام جديدة

■ Goodbye Mister Wong لكِيه سيمونلوينغ: يروي الفيلم (الصورة) حكاية فرانس، المُقيمة على شاطئ بحيرة «نام نْغوم» (لاوس)، والتي يرغب فيه رجلان قادمان من عالمين يختلف أحدهما عن الآخر. هناك أيضاً أوغو، الفرنسي القادم إلى المنطقة نفسها بحثاً عن امرأة تخلّت عنه قبل عام. يلتقي الجميع، فينكشفون بعضهم أمام بعض، وأمام أنفسهم.

■ Bayan Ko للينو بروكا، تمثيل جينا آلاجار (الصورة)، وفيليب سالفادور (الفيليبين): يعمل تونينغ في مطبعة، وزوجته حامل، والديون تتراكم عليه، ما يجعله يوقّع على اتّفاق مع الإدارة يقضي بعدم مشاركته في أي حراك مطلبي. يبدأ إضرابٌ للعمّال، فينفضّ تونينغ عنه ولا يتعامل مع أي من زملائه، فيجد نفسه وزوجته وحيدين من دون أي مساعدة.

■ Eyimofe (This Is My Desire) لآري وشوكو إسيري (نيجيريا)، تمثيل سينتيا إبيجي (الصورة)، وجاكوب ألكسندر: فَقَد موفي عائلته، وحَنَثت روزا بوعدها. هذا دافع لهما إلى البدء ببحثٍ جدّي عن حياة أفضل، بعد تعطّل مشروع سفرٍ لهما. ثم يكتشفان معاً أنّ المستقبل الذي يسعيان إليه بشدّة يُمكن بناؤه حيث يعيشان.

لبنان في «مهرجان القارات الثلاث الـ42»

بيروت ـ **العربي الجديد**

في المسابقة الدولية للدورة الـ42 لـ«مهرجان القارات الـ3»، المُقامة بين 20 و29 نوفمبر/ تشرين الثاني 2020 في المدينة الفرنسية «نانت»، يُشارك فيلمٌ عربيّ واحد بعنوان «يومٌ بلا غدٍ»، للّبناني محمد سويد، إلى جانب 7 أفلام أخرى من دول آسيوية وأميركية لاتينية عدّة. وسويد الذي أمضى 15 عاماً في تصوير فيلم (170 دقيقة)، يُريده محاولة لفهم مسائل عَدّة متعلّقة بالقلق والأرق والارتباك الحياتي، متواصلاً في ذلك مع أصدقاء ومقرّبين، يروون له قصصاً تساعدهم على النوم. أعوامٌ مديدة تُؤدّي إلى فيلم يعكس محطات وحالات وتفاصيل، تبدأ من الفرد كي تكشف، بشكلٍ أو بآخر، أحوال بيئة وتأمّلات وعيش يومي في بلدٍ، تتبدّل أحواله يوماً تلو آخر، في مواجهة مطبّات وانزلاقات يعيشها البلد وناسه معاً. وإذْ يبدو العنوان العربي (يوم بلا غدٍ) متواضعاً في اختزال نصٍ سينمائيّ وثائقي عن حياةٍ وأحلامٍ وهواجس ومخاطر وهوامش، فإنّ للعنوان الإنكليزي ثقلاً درامياً وحياتياً أكبر، بكشفه مستوراً في ذاتٍ وبيئة: The Insomnia Of A Serial Dreamer. لكنّ الترجمة الحرفية للعنوان الإنكليزي تُلغي حيويته واختزاله وتكثيفه الجماليّ لمضمونٍ، يتابع مساراً سينمائياً وثائقياً لسويد، يبدأه مطلع تسعينيات القرن الـ20، ويُنوّع أنماط اشتغاله مواضيع مختلفة، من دون الخروج على كلّ تجديدٍ ممكن في صُنع سينما وثائقية لبنانية عربية، مفتوحة على وقائع وحكايات وانفعالات وأحوالٍ وتفاصيل.

يهدف المهرجان، المؤسّس عام 1979 في المدينة الفرنسية «نانت»، بفضل الأخوين فيليب وآلان جالْادو . إلى تقديم أفلامٍ سينمائية جديدة، مُنجزة في دول القارات الثلاث: آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية؛ ويهتمّ بأفلامٍ «مُهمَلة»، غالبيتها الساحقة غير معروضةٍ خارج بلدان إنتاجاتها، ما يؤهّله لإبراز أسماء سينمائية، تُصبح لاحقاً وجوهاً أساسية في اختبارات فنية ودرامية وجمالية، في الفن السابع العالمي، أمثال وونغ كار . واي (هونغ كونغ) وسليمان سيسي (مالي) وعباس كياروستامي (إيران) وزهاو لينغ (الصين) وغيرهم.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني